العشارية في نصيحة طلاب العلم والنجاة

أيوب بن سعيد الكردي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال مُهنا رحمه الله: قلت لأحمد ابن حنبل رحمه الله:

حدثنا ما أفضل الأعمال؟

قال: طلب العلم.

قلت: لمن؟

قال: لمن صحَّت نِيتُه.

قلت: وأي شيء يصحح النية؟

قال: ينوي يتواضع فيه، وينفي عنه الجهل.

الآداب الشرعية لابن مفلح

النصيحة [1]

النية في طلب العلم والحديث

قال الزهري رحمه الله: " إنّ هذا العلمَ أدبُ الله الذي أدّب به نبيّه صلى الله عليه وآله، وأدّب النبيُّ صلى الله عليه وآله أمّته، أمانة الله إلى رسوله ليُؤديه على ما أُدّي إليه، فمن سمع علما فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ ".

استحضار النية عند الطلب

قيل لأبي الأحوص سلّام بن سليم: " حدِّثنا، فقال: ليست لي النية، فقالوا: إنّك تُؤجر، فقال: تُمَنُّوني الخير الكثير وليتني نَجَوتُ كفافا لا عليَّ ولا ليا.

قال سفيان الثوري: قلتُ لحبيب بن ابي ثابت: "حدِّثنا، قال: حتى تجيء النية ".

استمرار الطالب في تفقد نيته

قال علي بن المديني رحمه الله: " لمّا ودّعتُ سفيان ابن عيينة قال: " أما إنّكَ سَتُبْتَلى بهذا الأمر، وإنَّ الناسَ سيحتاجون إليك، فاتقِ الله، ولتحسن نيتك فيه "

النصيحة [2]

انظر عمن تأخذ دينك

قال ابن سيرين: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

قال إبراهيم: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وإلى صلاته وإلى حاله ثم يأخذون عنه.

قال أبو العالية: كنا نأتي الرجل لنأخذ عنه فننظر إذا صلى فإن أحسنها جلسنا إليه وقلنا: هو لغيرها أحسن، وإن أساءها قمنا عنه وقلنا: هو لغيرها أسوء.

قال أنس بن سيرين: اتقوا الله يا معشر الشباب انظروا ممن تأخذون هذه الأحاديث فإنها من دينكم.

قال الإمام مالك رحمه الله:

" إنَّ هذا العِلْمَ هو لَحْمُكَ ودَمُك، وعنهُ تُسألُ يوم القيامة، فانْظُر عمَّنْ تَأْخُذه ".

قال خالد بن خداش: ودّعت مالك بن أنس فقلت: أوصيني يا أبا عبد الله قال: تقوى الله، وطلب العلم من عند أهله.

قال الأوزاعي رحمه الله: اتقوا الله معشر المسلمين واقبلوا نصح الناصحين وعظة الواعظين،

واعلموا أن هذا العلم دين فانظروا ما تصنعون وعمن تأخذون وبمن تقتدون ومن على دينكم تأمنون،

فإن أهل البدع كلهم مبطلون أفاكون آثمون لا يرعوون ولا ينظرون ولا يتقون ولا مع ذلك يؤمنون على تحريف ما تسمعون، ويقولون ما لا يعلمون في رد ما ينكرون وتسديد ما يفترون والله محيط بما يعملون، فكونوا لهم حذرين متهمين رافضين مجانبين.

النصيحة [3]

يطلب الأدب كما يطلب العلم

عن مالك بن أنس قال: قال ابن سيرين: كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم، قال: وبعث ابن سيرين رجلا فنظر كيف هدي القاسم _ ابن محمد بن أبي بكر الصديق_ وحاله.

قال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد: قال لي أبي: يا بني إيت العلماء والفقهاء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإن ذاك أحب إلي لك من كثير من الحديث.

حاجة طالب العلم إلى تعلم الأدب

عن ابن المبارك قال: قال لي مخلد بن الحسين: نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث.

قال زكريا العنبري: علم بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم كروح بلا جسد،

وإنما شبهت العلم بالنار لما روينا عن سفيان بن عيينة أنه قال: ما وجدت للعلم شبها إلا بالنار، نقتبس منها ولا ننتقص عنها.

قال عبد الله بن طاووس: قال لي أبي: اعلم أنّ لكل شيء غاية وغاية المرء حسن الخلق.

النصيحة [4]

مستند العلم الحقيقي

قال أبو حمزة السكري: يجاء بي يوم القيامة فيقال: من حدثك؟ فأقول: الاعمش، فيقال للأعمش: من حدثك؟ فيقول: إبراهيم. فيقال لإبراهيم: من حدثك؟ فيقول: علقمة. فيقال للعلقمة: من حدثك؟ فيقول: عبد الله بن مسعود. حتى ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى جبريل عليه السلام، وإلى الربّ عزّ وجلّ.

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ لِعَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ: إِذَا ابْتُلِيتَ بِالْقَضَاءِ؛ فَعَلَيْكَ بِالْأَثَرِ.

قَالَ عَلِيٌّ: فَأَتَيْتُ أَبَا حَمْزَةَ السُّكَّرِيَّ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، وَقُلْتُ لَهُ: مَا الْأَثَرُ؟

قَالَ: أن تأتيني أُحَدِّثُكَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا وَكَذَا، فَتَقْضِيَ بِهِ أَوْ تَعْمَلَ بِهِ،

فَإِذَا سُئِلْتَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ أَحَلْتَ عَلَيَّ، وَأَحَلْتُ أَنَا عَلَى الْأَعْمَشِ، وَيُحِيلُ الْأَعْمَشُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَيُحِيلُ إِبْرَاهِيمُ عَلَى عَلْقَمَةَ، وَيُحِيلُ عَلْقَمَةُ عَلَى عَبْدِ اللهِ، وَيُحِيلُ عَبْدُ اللهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَنْتَهِي الْأَمْرُ مُنْتَهَاهُ، فَتَسْلَمُ.

النصيحة [5]

العلم النافع موهبة من الله

قال الإمام أحمد بن حنبل: " العلم مواهب مِن الله ليس كل أحد يناله ".

قال علي بن خشرم: "كثيرًا ماكان ابن عيينة يقول: توفيق قليل خير من علم كثير ".

قال الإمام مالك رحمه الله: " العلم نور يجعله الله حيث يشاء، ليس بكثرة الرواية ".

قال البربهاري رحمه الله: " اعلم أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، ولكن العالم: من اتبع الكتاب والسنة، وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير الرواية والكتب "

النصيحة [6]

طالب العلم وانتقاء الأصحاب

قال سفيان الثَّوري رحمه الله: " ليس شيء أبلغ في فساد رجل وصلاحه من صاحب ".

قال عبد الله بن شوذب: " إن من نعم الله على الفتى إذا تنسك أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها ".

قال الحسن البصري رحمه الله: " إن لك من خليلك نصيبًا، وإن لك نصيبًا من ذكر من أحببت، فتنقوا الإخوان والأصحاب والمجالس ".

قال علي بن الحسين: " إنما يجلسُ الرَّجلُ إلى من ينفعه في دينه ".

قال مجاهد: " إني لأنتقي الإخوان كما أنتقي التمر الجيد ".

قال شعبة: " عقولنا قليل، فإذا جلسنا إلى من هو أقل عقلا منا ذهب ذاك القليل، فإني لأرى الرجل يجلس مع من هو أقل عقلا منه فأمقته ".

النصيحة [7]

الحق لا يعرف بالكثرة

قال تعالى ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام: 116]

فبين سبحانه أن أكثر الناس على غير الحق

وقال تعالى ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّة قَانِتا لِلَّهِ حَنِيفا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [النحل: 120]

وصف ربنا إبراهيم أنه أمة مع انفراده بالحق

وجاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "عرضت على الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي معه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد ".

وفي الحديث أن الكثرة ليست من أمارات الحق ولا تدل عليه

وقَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ: " فَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: وَكَيْفَ لَنَا بِالْجَمَاعَةِ؟ فَقَالَ لِي: يَا عَمْرُو بْنَ مَيْمُونٍ، إِنَّ جُمْهُورَ الْجَمَاعَةِ هِيَ الَّتِي تُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ ، إِنَّمَا الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ ".

وفيه أن الحق يعرف بالدليل لا بالعدد

قَالَ إِسْحَاقُ: " لَوْ سَأَلْتَ الْجُهَّالَ مَنِ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ؟ قَالُوا: جَمَاعَةُ النَّاسِ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْجَمَاعَةَ عَالِمٌ مُتَمَسِّكٌ بِأَثَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَرِيقِهِ، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ وَتَبِعَهُ فَهُوَ الْجَمَاعَةُ، وَمَنْ خَالَفَهُ فِيهِ تَرَكَ الْجَمَاعَةَ "

النصيحة [8]

لماذا السلف تركوا كثيرا من الأساليب عند الردود على المخالفين

لم يكن السلف عاجزين عن الرد على كل مخالف بل كانوا كالشمس تحرق وكالبحر يغرق.

لكن الخوف من الدخول في شيء من الكلام تركوا كثيرا من الأساليب عند الردود على المخالفين لعدم الرد على الباطل بباطل مثله

ومع هذا لم يقصروا في نسف وهدم أصول أهل البدع بالأثر والوحي

عن الشافعي قال: لو أردت أن أضع على كل مخالف كتابا كبيرا لفعلت، ولكن ليس الكلام من شأني ولا أحب أن ينسب إلي منه شيء.

عن ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد.

وقال: والله لأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك به، خير من النظر في الكلام.

عن المزني قال: كنت أنظر في الكلام قبل أن يقدم الشافعي، فلما قدم الشافعي أتيته فسألته عن مسألة في الكلام فقال لي: أتدري أين أنت؟ قال: قلت نعم، أنا في المسجد بالفسطاط فقال لي: أنت في تاران، قال أبو القاسم: وتاران موضع في بحر القلزم لا يكاد تسلم منه سفينة،

قال: ثم ألقى علي مسألة في الفقه فأجبت فيها، فأدخل شيئا أفسد جوابي فأجبت بغير ذلك فأدخل شيئا أفسد جوابي، فجعلت كلما أجبت بشيء أفسده

قال: ثم قال لي: هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس يدخله مثل هذا، فكيف الكلام في رب العالمين الذي الزلل فيه كفر، فتركت الكلام وأقبلت على الفقه.

قال سعيد بن عمرو البردعي: شهدت أبا زرعة وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه– فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات؛ عليك بالأثر؛ فإنك تجد فيه ما يغنيك.

قيل له: في هذه الكتب عبرة. فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن سفيان ومالكا والأوزاعي صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس؟ ما أسرع الناس إلى البدع.

حدثنا حفص بن عمر، قال: سمعت أبا حاتم الرازي، يقول: قيل لهشام بن عبيد حين أدخل على المأمون كلم بِشْراً المريسي، فقال: أصلح الله الخليفة لا أحسن كلامه والعالم بكلامه عندنا جاهل.

النصيحة [9]

إياك ثم إياك والرأي

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّاسِ، **فَقَالَ**: " **أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ أَصْحَابَ الرَّأْيِ أَعْدَاءُ السُّنَّةِ، أَعْيَتْهُمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا، وَتَفَلَّتَتْ مِنْهُمْ أَنْ يَعُوهَا، وَاسْتَحْيَوْا إِذْ سَأَلَهُمُ النَّاسُ أَنْ يَقُولُوا: لَا نَدْرِي، فَعَانَدُوا السُّنَنَ بِرَأْيِهِمْ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا كَثِيرًا، وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، مَا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ، وَلَا رَفَعَ الْوَحْيَ عَنَهُمْ. حتَّى أَغْنَاهُمْ عَنِ الرَّأْيِ..**

قال ربيع بن خثيم رحمه الله: ليتق أحدكم تكذيب الله إياه **أن يقول**: قال الله كذا وكذا **فيقول**: كذبت لم أقله **أو يقول**: لم يقل الله كذا وكذا **فيقول**: كذبت قد قلته.

قال الأوزاعي: عليك بآثار من سلف وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوها بالقول، فإن الأمر ينجلي حين ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم.

قال بلال بن سعد: ثلاث لا يقبل معهنّ عمل: الشرك، والكفر، والرأي. **قيل**: يا أبا عمرو ما الرأي؟ **قال**: **تترك كتاب الله وسنة نبيه وتقول بالرأي.**

قال عصام بن يوسف: عليكم بالآثار وإياكم والرأي فإن أصحاب الرأي أعداء السنة أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها **فإنّ وأنّ وأرأيت لا يكون علما.**

قال عطاء: ليس الدين بالرأي ولكنه السمع.

روى العلاء بن المسيب عن أبيه قال: **إنا نتبع ولا نبتدع، ونقتدي ولا نبتدي، ولن نضلّ ما تمسكنا بالآثار.**

النصيحة [10]

جماع النصائح لطلاب العلم

قال الدارمي في كتابه السنن:

أَخبَرَنا أَبُو عُثْمَانَ الْبَصْرِي، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقَسْمَلِيِّ، **حَدَّثَنَا زَيْدٌ الْعَمِّيُّ عَنْ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ أَنَّهُ قَالَ:**

يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ اعْمَلْ بِعِلْمِكَ وَأَعْطِ فَضْلَ مَالِكَ وَاحْبِسِ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَدِيثِ يَنْفَعُكَ عِنْدَ رَبِّكَ،

يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ إِنَّ الَّذِي عَلِمْتَ، ثُمَّ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ قَاطِعٌ حُجَّتَكَ وَمَعْذِرَتَكَ عِنْدَ رَبِّكَ إِذَا لَقِيتَهُ

يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ إِنَّ الَّذِي أُمِرْتَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ سَيَشْغَلُكَ عَمَّا نُهِيتَ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ

يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ لاَ تَكُونَنَّ قَوِيًّا فِي عَمَلِ غَيْرِكَ ضَعِيفًا فِي عَمَلِ نَفْسِكَ

يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ لاَ يَشْغَلَنَّكَ الَّذِي هُوَ لِغَيْرِكَ عَنِ الَّذِي لَكَ يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ جَالِسِ الْعُلَمَاءَ وَزَاحِمْهُمْ وَاسْتَمِعْ مِنْهُمْ وَدَعْ مُنَازَعَتَهُمْ،

يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ عَظِّمِ الْعُلَمَاءَ لِعِلْمِهِمْ وَصَغِّرِ الْجُهَّالَ لِجَهْلِهِمْ، وَلاَ تُبَاعِدْهُمْ وَقَرِّبْهُمْ وَعَلِّمْهُمْ

يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ لاَ تُحَدِّثْ بِحَدِيثٍ فِي مَجْلِسٍ حَتَّى تَفْهَمَهُ، وَلاَ تُجِبِ امْرَءًا فِي قَوْلِهِ حَتَّى تَفْهَمَ مَا قَالَ لَكَ

يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ لاَ تَغْتَرَّ بِاللهِ، وَلاَ تَغْتَرَّ بِالنَّاسِ فَإِنَّ الْعِزَّةَ بِاللهِ تَرْكُ أَمْرِهِ وَالْعِزَّةَ بِالنَّاسِ اتِّبَاعُ أَهْوَائِهِمْ وَاحْذَرْ مِنَ اللهِ مَا حَذَّرَكَ مِنْ نَفْسِهِ وَاحْذَرْ مِنَ النَّاسِ فِتْنَتَهُمْ

يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ إِنَّهُ لاَ يَكْمُلُ ضَوْءُ النَّهَارِ إِلاَّ بِالشَّمْسِ كَذَلِكَ لاَ تَكْمُلُ الْحِكْمَةُ إِلاَّ بِطَاعَةِ اللهِ

يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ إِنَّهُ لاَ يَصْلُحُ الزَّرْعُ إِلاَّ بِالْمَاءِ وَالتُّرَابِ كَذَلِكَ لاَ يَصْلُحُ الإِيمَانُ إِلاَّ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ

يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ كُلُّ مُسَافِرٍ مُتَزَوِّدٌ وَسَيَجِدُ إِذَا احْتَاجَ إِلَى زَادٍ مَا تَزَوَّدَ وَكَذَلِكَ سَيَجِدُ كُلُّ عَامِلٍ إِذَا احْتَاجَ إِلَى عَمَلِهِ فِي الآخِرَةِ مَا عَمِلَ فِي الدُّنْيَا

يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخُصَّكَ عَلَى عِبَادَتِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لَكَ كَرَامَتَكَ عَلَيْهِ فَلاَ تَحَوَّلَنَّ إِلَى غَيْرِهِ فَتَرْجِعَ مِنْ كَرَامَتِهِ إِلَى هَوَانِهِ

يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِنْ تَنْقُلِ الْحِجَارَةَ وَالْحَدِيدَ أَهْوَنُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْ تُحَدِّثَ مَنْ لاَ يَعْقِلُ حَدِيثَكَ وَمَثَلُ الَّذِي يُحَدِّثُ مَنْ لاَ يَعْقِلُ حَدِيثَهُ كَمَثَلِ الَّذِي يُنَادِي الْمَيِّتَ وَيَضَعُ الْمَائِدَةَ لأَهْلِ الْقُبُورِ.

والحمد لله ربّ العالمين

10/ **رمضان**/ 1442 **مكة المكرمة**